
حكايات جزائريّة
الحاذِق و السّاذِج
CHIHAB Kids

حكايات جزائرية

الحاذِق و السّاذِج



قصص جمعتها : وردة عكيف
الترجمة : شهرزاد صغير
مراجعة : محمد أمير لعرابي
رسوم : نشوى جغري





في يَوْمٍ مِنَ الأيامِ، كانَ لِرَجُلٍ زَوْجَتانِ، إحْداهُمَا ساذِجَةٌ، وَ الأُخْرَى ذَكِيَّةٌ ماكِرَةٌ. كانَتِ السَّاذِجَةُ عاقِرًا لا تُنْجِبُ أَطْفالًا، بَيْنَمَا الأُخْرَى تَنْتَظِرُ مَوْلودًا مُسْعِدَةً بِذَلِكَ قَلْبَ زَوْجِهَا الَّذِي كانَ يَنْتَظِرُ قُدومَهُ بِفارِغِ الصَّبْرِ. غَيْرَ بَعيدٍ عَنْ جَبَلِ شَنْوَة، كانَ يَعيشُ الرَّجُلُ مَعَ زَوْجَتَيْهِ في بَيْتٍ يَسودُهُ التَّفاهُمُ وَ الاِحْترامُ، وَ كانَ يَعْمَلُ في الحُقولِ لِتَلْبِيَةِ حاجاتِ أُسْرَتِهِ. وَ ذاتَ يَوْمٍ، طَلَبَ مِنْ زَوْجَتَيْهِ أَنْ تُحْضِرَا لَهُ بُذورَ الفولِ لِيَزْرَعَها فَفَعَلَتا. و في يَوْمٍ حارٍّ، خَرَجَ إِلَى الحُقولِ فَقالَ في نَفْسِهِ : « عَلَيَّ أَنْ أَحْفِرَ الأَرْضَ أَوَّلًا، وَ بَعْدَ ذَلِكَ سَأَجْعَلُ فيها خُطوطًا لِأَزْرَعَ البُذورَ، وَ لَكِنْ قَبْلَ هَذا كُلِّهِ يَجِبُ أَنْ أَرْتاحَ لِبَعْضِ الوَقْتِ ».
تَمَدَّدَ الرَّجُلُ عَلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ فَنامَ، وَ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ شَعَرَ بِالجوعِ، فَأَخْرَجَ بَعْضَ البُذورِ لِيَأْكُلَهَا، وَ حينَ شَبِعَ بَدَأَ بِالحَفْرِ، إِلَّا أَنَّ الأَرْضَ كانَتْ صَلْبَةً، فَتَعِبَ وَ جَلَسَ لِيَرْتاحَ، وَ أَخَذَ حَفْنَةً مِنَ البُذورِ وَ أَكَلَهَا، ثُمَّ عادَ إِلَى الحَفْرِ، فَلَمَّا أَنْهَى عَمَلَهُ جَعَلَ في الأَرْضِ خُطوطًا وَ مَدَّ يَدَهُ في الكيسِ لِيُخْرِجَ البُذورَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا ؛ فَصَرَخَ قائِلًا : « يا لَجَشَعي ! ماذا سَأَفْعَلُ الآنَ ؟ ».

قَرَّرَ الرَّجُلُ الرُّجوعَ إِلَى بَيْتِه، وَ عِنْدَ وُصولِهِ لَقِيَتْهُ زَوْجَتاهُ فَقالَتْ إِحْداهُمَا : « هَلِ انْتَهَيْتَ مِنَ العَمَلِ ؟! لِيَحْفَظْكَ اللّـهُ مِنَ العَيْنِ، خُذْ قِسْطًا مِنَ الرّاحَةِ، لا بُدَّ أَنَّكَ مُرْهَقٌ ».

عِنْدَ حُلولِ مَوْسِمِ جَمْعِ الفولِ، شاهَدَتِ المَرْأَتانِ جاراتِهِنَّ وَ هُنَّ يَنْقُلْنَ الفولَ الطّازَجَ عَلَى ظُهورِ الحَميرِ، فَأَسْرَعَتَا إِلَى زَوْجِهِمَا وَ قالَتَا : « لَقَدْ حانَ وَقْتُ جَمْعِ الفولِ، لا شَكَّ أَنَّ فولَنَا قَدْ نَضَجَ ». فَرَدَّ الزَّوْجُ قائِلًا : « لا يُمْكِنُني مُرافَقَتُكُمَا اليَوْمَ، فَأَنا مُتْعَبٌ بَعْضَ الشَّيْءِ ».

قالَتِ المَرْأَتانِ : « لَكِنَّنَا لَا نَعْرِفُ مَكانَ المَحْصولِ ».

قالَ الزَّوْجُ : « اِجْعَلَا الغِرْبالَ يَدورُ، وَ حَيْثُمَا تَوَقَّفَ اِجْمَعَا الفولَ، فَنَحْنُ في وَقْتِ الوَفْرَةِ ».

نَفَّذَتِ المَرْأَتانِ ما قالَ الزَّوْجُ، فَخَرَجَتَا إِلَى الحُقولِ وَ جَعَلَتَا الغِرْبالَ يَدورُ مُتَّبِعَتَيْنِ مَسارَهُ.





وَ أَثْناءَ رَكْضِهِما وَراءَ الغِرْبالِ، ضاعَتِ المَرْأَتانِ فَوَجَدَتَا نَفْسَيْهِمَا في حَقْلٍ وافِرِ الثِّمارِ، وَ أَخَذَتا تَقْتَصَانِ الفولَ وَ تَأْكُلانِهِ إلَى أَنْ تَفاجَأَتا بِقُدومِ غولَةٍ يَبْدُو أَنَّها عائِدَةٌ مِنْ رِحْلَةِ صَيْدٍ. اسْتَغْرَبَتِ الغولَةُ دُخولَ غُرَباءَ إلَى مَنْطِقَتِهَا فَقالَتْ لَهُمَا : « ماذا تَفْعَلانِ هُنَا وَسَطَ حُقولي ؟! ».

رَدَّتِ الذَّكِيَّةُ قائِلَةً : « عُذْرًا أَيَّتُها الغولَةُ، ظَنَنَّا أَنَّهُ حَقْلُنَا ».

قالَتِ الغولَةُ : « لا بَأْسَ، تَسْتَطيعانِ الإقامَةَ عِنْدي هَذِهِ اللَّيْلَةَ، وَ الرَّحيلَ عِنْدَ حُلولِ الفَجْرِ إنْ شِئْتُمَا، كَما يُمْكِنُكُمَا أَنْ تَأْخُذا مِنَ الحُقولِ كُلَّ ما تُريدانِ ».

خافَتِ المَرْأَتانِ مِنْ أَنْ تُؤْذِيَهُما الغولَةُ فَقَبِلَتَا البَقاءَ عِنْدَها، وَ لَمَّا كانَ المَساءُ، قَدَّمَتْ لَهُمَا بَعْضَ الفَطائِرِ وَ قالَتْ : « كُلا حَتَّى تَشْبَعَا، فَأَنْتُما ضَيْفَتايَ ».

أَكَلَتِ السّاذِجَةُ حَتَّى شَبِعَتْ، بَيْنَما أَخْفَتِ الذَّكِيَّةُ الفَطيرَةَ في حِضْنِها.

سَأَلَتْهُما الغولَةُ : « هَلِ انْتَهَيْتُما مِنَ الأَكْلِ ؟ ».



أجابَتِ السّاذِجَةُ قائِلَةً : « لَمْ أَتَناوَلْ فَطائِرَ لَذيذَةً كَهَذِهِ مِنْ قَبْلُ ! ».
قالَتِ الغولَةُ : « أَعيدي الفَطائِرَ كامِلَةً و إلّا ابْتَلَعْتُكِ دُفْعَةً واحِدَةً ».
أَسْرَعَتِ الذَّكِيَّةُ في إخْراجِ الفَطيرَةِ وَ قالَتْ لِلْغولَةِ : « ها هِيَ فَطيرَتُكِ ».
قالتِ السّاذِجَةُ بِنَبْرَةٍ يائِسَةٍ : « وَ لَكِنّي أَكَلْتُها كُلَّهَا ».
اِبْتَلَعَتِ الغولَةُ المِسْكينَةَ دُفْعَةً واحِدَةً، وَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ تَمَكَّنَتِ الذَّكِيَّةُ مِنَ الفِرارِ، إلّا أَنَّ الغولَةَ أَمْسَكَتْ بِها في مُنْتَصَفِ الطَّريقِ، وَ في اللَّحْظَةِ الَّتي كانَتْ تَلْتَهِمُهَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ الذَّكِيَّةِ طِفْلانِ جَميلانِ، فَأَشْفَقَتِ الغولَةُ عَلَيْهِما وَ قَرَّرَتْ أَنْ تَتَبَنّاهُما كَطِفْلَيْنِ لَهَا، أَطْلَقَتْ عَلَى أَحَدِهِمَا اِسْمَ مُحَنْد وَ عَلَى الآخَرِ امْحَنْد.



مَعَ مُرورِ الوَقْتِ، كَبُرَ الوَلَدانِ فَصارا شابَّيْنِ وَسيمَيْنِ، كانَ امْحَنْد ساذِجًا، أَمَّا مُحَنْد فَكانَ ذَكِيًّا حاذِقًا.
كانَ لِلْغولَةِ قَطيعٌ مِنَ الغَنَمِ يَهْتَمُّ الشّابّانِ بِرِعايَتِه، وَ كانَتْ تُحَذِّرُهُمَا دائِمًا مِنَ الذِّئْبِ الَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَظْهَرَ في أَيَّةِ لَحْظَةٍ لِيَنالَ مِنْ غَنَمِهَا.
ذاتَ يَوْمٍ قالَ مُحَنْد بِنَبْرَةِ المُتَوَسِّلِ : « ماما جِيدَة، لِمَ لا تَذْبَحينَ لَنا كَبْشًا ؟ ».
وَ بِمَا أَنَّ مُحَنْد كانَ المُفَضَّلَ لَدَيْهَا فَقَدْ امْتَثَلَتْ لِرَغْبَتِهِ دونَ تَرَدُّدٍ، وَ اخْتارَتْ مِنَ القَطيعِ كَبْشًا سَمينًا وَ ذَبَحَتْهُ ثُمَّ جَزَّأَتْهُ إِلَى قِطَعٍ، وَ بَعْدَ أَنْ سَوَّتِ اللَّحْمَ أَعْطَتْ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا نَصيبًا، لَكِنَّ حِصَّةَ مُحَنْد كانَتْ أَكْبَرَ مِنْ حِصَّةِ أَخيهِ، فَاعْتَرَضَ امْحَنْد قائِلًا : « أَعْطَيْتِ اللَّحْمَ لِمُحَنْد، أَمَّا أَنا فَلَمْ أَحْصُلْ إِلَّا عَلى الشَّحْمِ ! ».
أَشْفَقَ مُحَنْد عَلَى أَخيهِ فَأَعْطاهُ بَعْضَ قِطَعِ اللَّحْمِ الكَبيرَةِ.



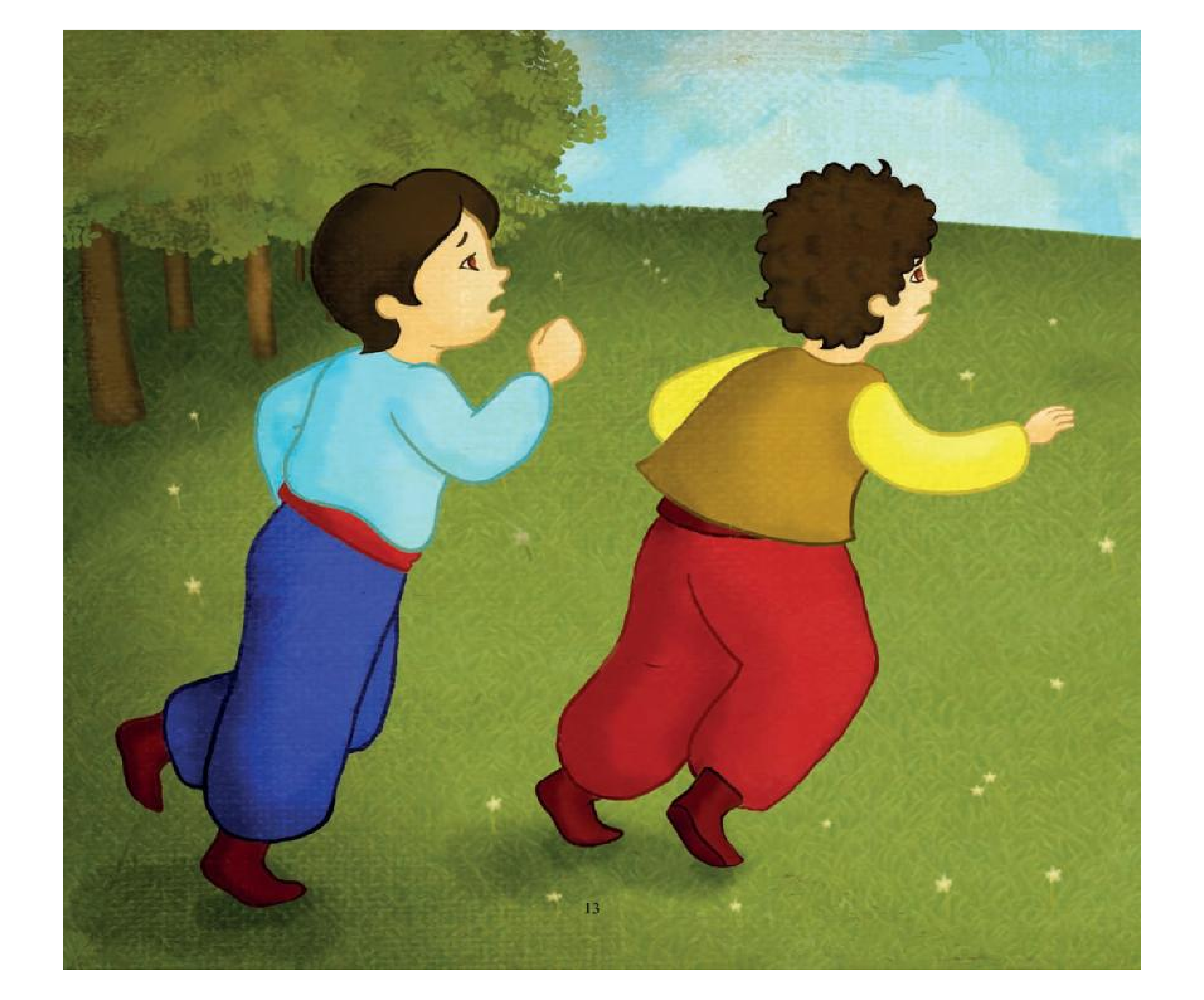


فِي يَوْمِ الغَدِ، خَرَجَ الأَخَوانِ لِرَعْيِ الغَنَمِ، وَ في مُنْتَصَفِ الطَّريقِ، طَلَبَ مُحَنْد مِنْ أَخيهِ أَنْ يَحْرُسَ القَطيعَ رَيْثَما يَعودُ.

بَقِيَ امْحَنْد وَحْدَهُ، فَتَذَكَّرَ قِطَعَ اللَّحْمِ الَّتي خَصَّتْ بِها الغولَةُ أخاهُ فَغَضِبَ، وَ فَجْأَةً أَخَذَ يَضْرِبُ الكَبْشَ تِلْوَ الآخَرِ بِقُوَّةٍ عَلى الرَّأْسِ فَماتَتِ الدَّوابُّ المِسْكينَةُ عَلَى الفَوْرِ !

عادَ مُحَنْد فَرَأى ما حَلَّ بِالقَطيعِ فَقالَ فَزِعًا : « ماذا فَعَلْتَ أَيُّها البائِسُ ؟! لَقَدْ تَسَبَّبْتَ في خَسارَتِنا، إنْ عَلِمَتْ ماما جيدَة بِالأَمْرِ فَسَتَقْتُلُنا، لِنَهْرُبْ مِنْ هُنا قَبْلَ عَوْدَتِها ».

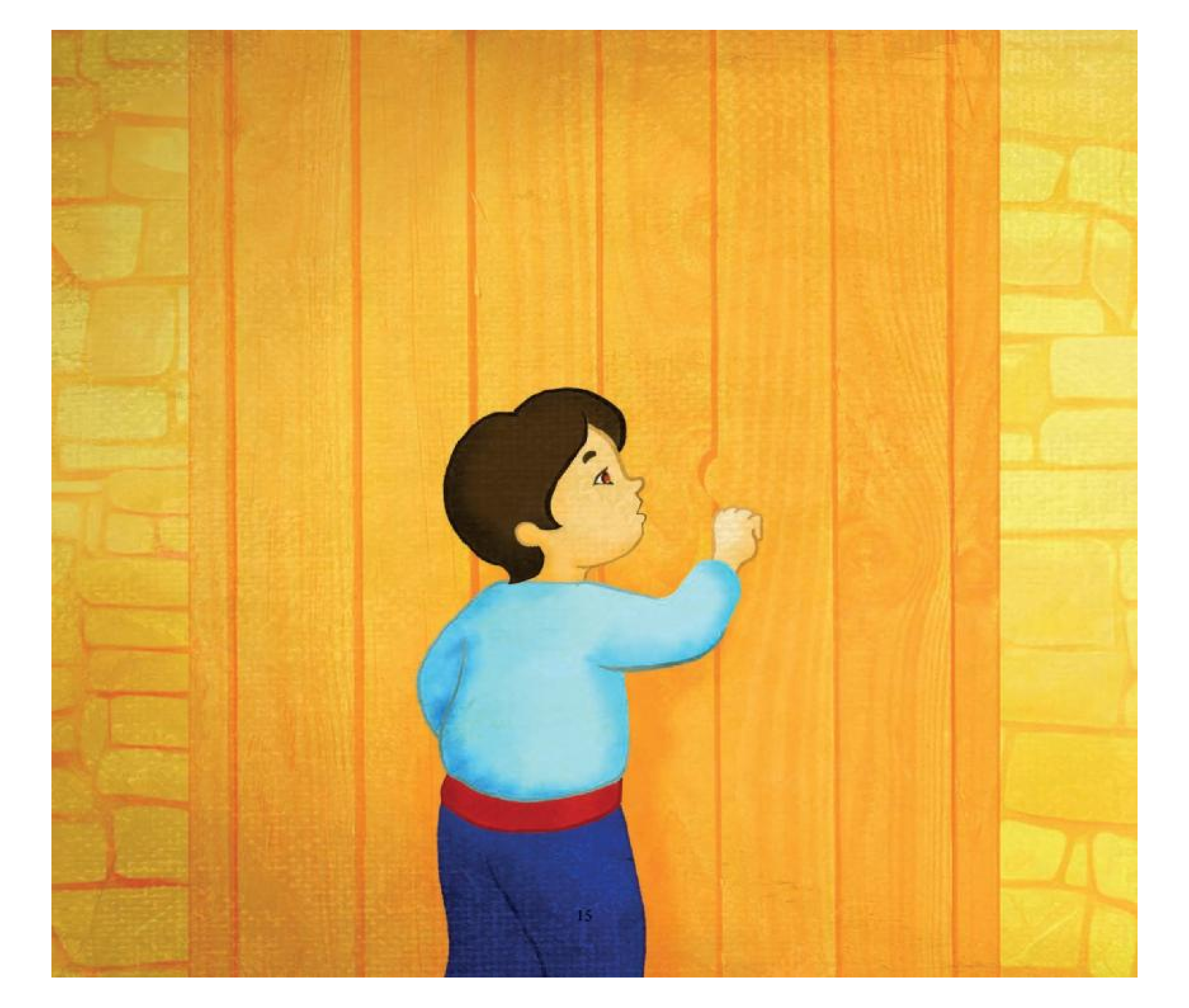
جَرَى الشّابّانِ إِلَى أَنْ وَصَلا إِلَى القَرْيَةِ المُجاوِرَةِ، فَطَلَبَ مُحَنْد مِنْ أَخيهِ أَنْ يَرْتاحَ قَليلًا، ثُمَّ قالَ لَهُ : « يَجِبُ أَنْ نَفْتَرِقَ عَنْ بَعْضِنا، إنْ بَقينا مَعًا فَلَنْ نَجِدَ مَأْوًى يَضُمُّنا، لِنُحاوِلْ أَنْ نَجْتَمِعَ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ عِنْدَ شَجَرَةِ التّينِ هَذِهِ ».

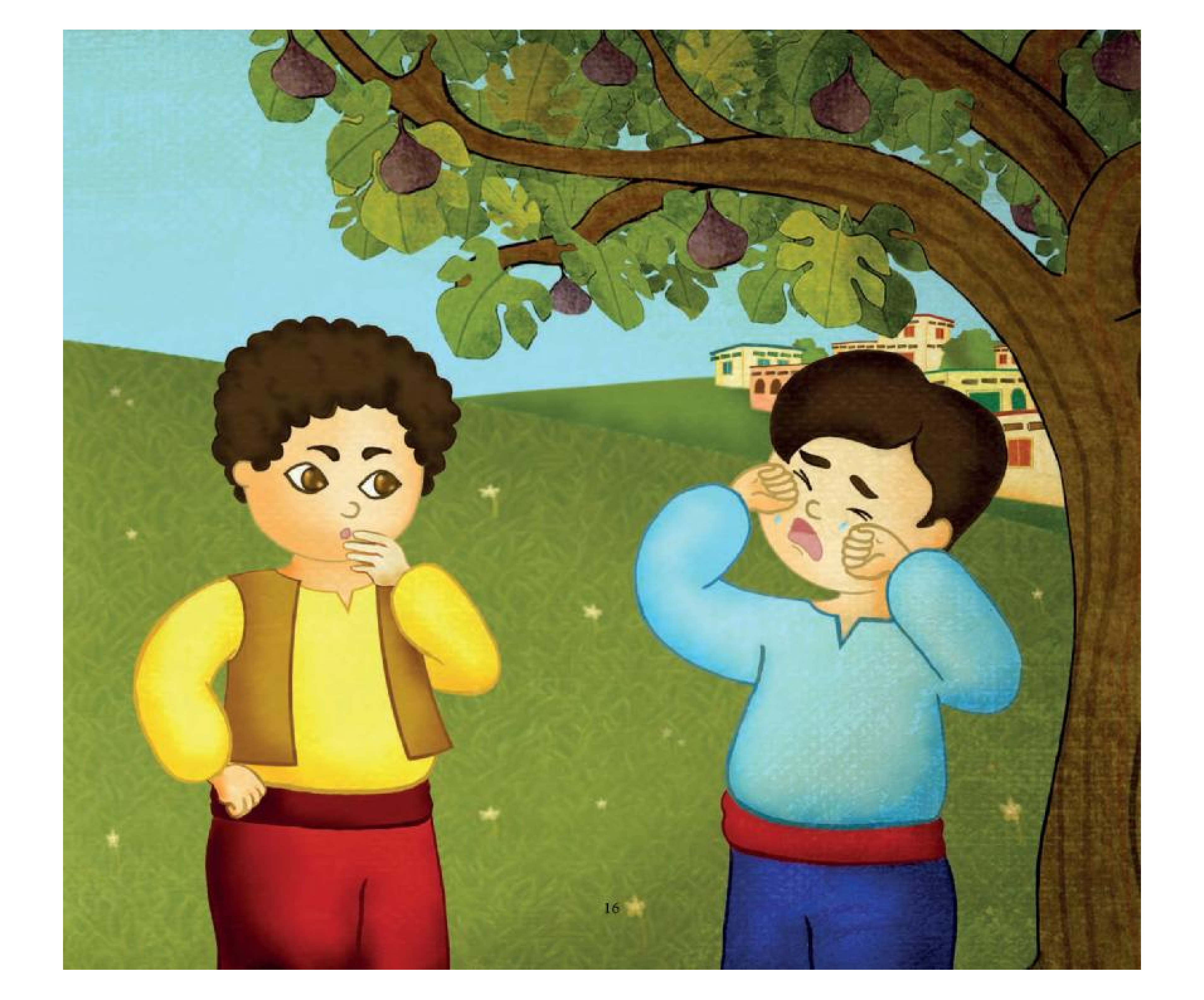




اِفْتَرَقَ الأَخَوانِ إذَنْ وَ سَلَكَا اتِّجاهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ. وَ مَعَ مُرورِ الوَقْتِ، تَحَصَّلَ مُحَنْد عَلَى عَمَلٍ وَ مَأْوى، فيما وَجَدَ امْحَنْد هُوَ الآخَرُ عائِلَةً مُضيفَةً تَسْتَخْدِمُهُ.

قَبْلَ الخُروجِ لِرَعْيِ الغَنَمِ، كانَ عَلَى امْحَنْد أَنْ يَسْتَيْقِظَ باكِرًا كُلَّ يَوْمٍ، وَ ذَلِكَ لِتَنْفيذِ التَّعْليماتِ الَّتِي تُصْدِرُهَا نِسْوَةُ المَنْزِلِ بِدِقَّةٍ : يَخْرُجُ أَوَّلًا لِلتَّنَزُّهِ رُفْقَةَ المَرْأَةِ العَجوزِ، ثُمَّ يَذْهَبُ لِاصْطِيادِ الحَجَلِ، وَ عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلَى البَيْتِ، يَضَعُ المَرْأَةَ العَجوزَ عَلَى أَريكَتِهَا بِرِفْقٍ، وَ يُخرِجُ طُيورَ الحَجَلِ مِنَ الكيسِ، و في الأَخيرِ يُطْعِمُ الكَلْبَ وَ يُحَضِّرُ لِصاحِبَةِ البَيْتِ فَطيرَةً وَ يُقَدِّمُهَا لَهَا كامِلَةً، حَيْثُ يُمْنَعُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا شَيْئًا لِأَنَّهَا مُخَصَّصَةٌ لِأَهْلِ البَيْتِ. وَ هَكَذا اسْتَمَرَّ الحالُ لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ كامِلَةٍ.

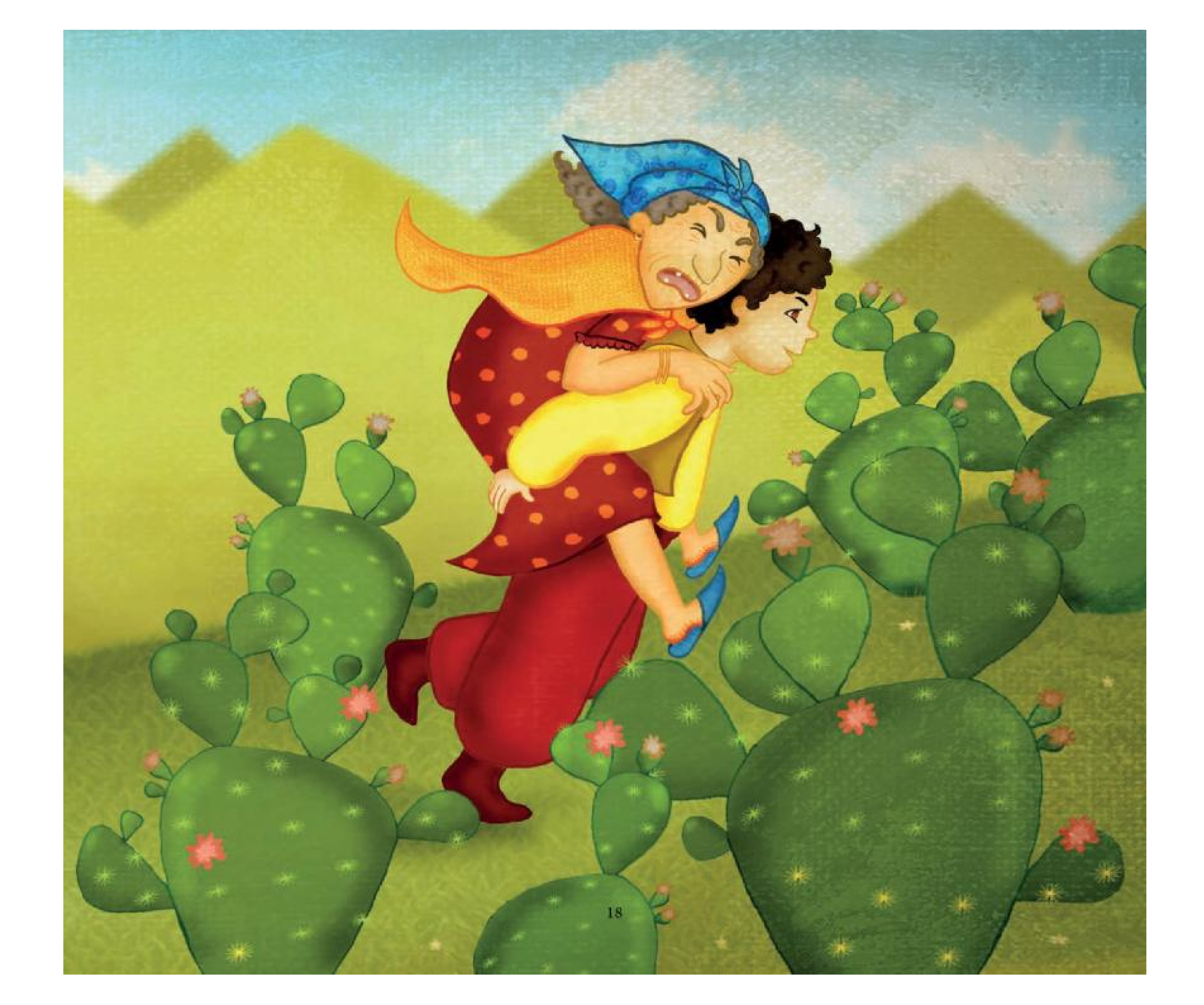




وَ جاءَ يَوْمُ اللِّقاءِ الَّذي انْتَظَرَهُ الأَخوانِ طَويلًا. كانَ مُحَنْد يَتَرَقَّبُ قُدومَ أَخيهِ بِشَوْقٍ، وَ ما هِيَ إلَّا لَحَظاتٌ يَسيرَةٌ حَتّى ظَهَرَ امْحَنْد. نَظَرَ مُحَنْد إلَى أَخيهِ فَلَمْ يَكَدْ يَعْرِفُهُ لِأَنَّهُ كانَ يَبْدو ضَعيفًا شاحِبَ الوَجْهِ. عانَقَ مُحَنْد أخاهُ وَ دُموعُ الحُزْنِ وَ الأَسَى تَمْلَأُ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قالَ : « تَبْدُو كَئيبًا يا أَخِي العَزيز، لا بُدَّ أَنَّكَ مَرَرْتَ بِأَوْقاتٍ عَصيبَةٍ ! ».

شَكا امْحَنْد لِأَخيهِ اللَّحَظاتِ المَريرَةَ الَّتي قَضاهَا بَعيدًا عَنْهُ، وَ قَصَّ عَلَيْهِ ما كانَ مِنْ أَمْرِ النِّسْوَةِ، فَأَدْرَكَ مُحَنْد بِأَنَّ حَياتَهُ كانَتْ أَكْثَرَ رَخاءً مِنْ حَياةِ أَخيهِ الَّذي لَمْ يَعْرِفْ إلَّا التَّعَبَ وَ الشَّقاءَ، فَقالَ لَهُ : « سَأَنْتَقِمُ لَكَ يا أَخي، سَتَدْفَعُ النِّسْوَةُ ثَمَنَ ما فَعَلْنَ بِكَ ».

ثُمَّ أَضافَ قائِلًا : « بِما أَنَّنَا مُتَشابِهانِ، فَسَأَخْلِفُكَ هُناكَ، تَعالَ لِتَرْتاحَ تَحْتَ شَجَرَةِ التِّينِ هَذِهِ، وَ إنْ أَحْسَسْتَ بِالجوعِ فَكُلْ مِنْهَا رَيْثَمَا أَعودُ ».



اتَّجَهَ مُحَنْد عَلَى الفَوْرِ إِلَى المَنْزِلِ الَّذي كانَ يَعيشُ فيه أَخوهُ، وَ لَمَّا فَتَحَ البابَ سَمِعَ المَرْأَةَ العَجوزَ وَ هِيَ تَصْرُخُ قائِلَةً : « ماذا تَنْتَظِرُ لِتَحْمِلَني عَلَى ظَهْرِكَ ؟! ».

حَمَلَ مُحَنْد المَرْأَةَ عَلَى ظَهْرِهِ، وَ دونَ أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُ شَيْءٌ، اِلْتَقَطَ الكيسَ المُلْقَى عَلَى الأَرْضِ وَ أَخْرَجَ الكَلْبَ مَعَهُ.

عِنْدَ وُصولِهِ إِلَى الحُقولِ، تَظاهَرَ مُحَنْد بِالتَّعَبِ وَ طَلَبَ مِنَ المَرْأَةِ العَجوزِ أَنْ تَنْزِلَ عَنْهُ، لَكِنَّها تَشَبَّثَتْ بِهِ وَ رَفَضَتْ أَنْ تَتْرُكَهُ، وَ لِهَذا تَعَمَّدَ تَمْريرَها مِنْ طَريقٍ يَكْثُرُ فيهِ نَباتُ الصَّبّارِ، فَتَأَلَّمَتْ كَثيرًا وَ صَرَخَتْ بِقُوَّةٍ : « ضَعْني عَلَى الأَرْضِ أَيُّها اللَّعينُ، هُناكَ الكَثيرُ مِنَ الشَّوْكِ في جِسْمي، أَلا تَرَى أَنِّي أَنْزِفُ ؟! ».

قالَ مُحَنْد : « إِنَّها غَلْطَتُكِ، طَلَبْتُ مِنْكِ النُّزولَ، لَكِنَّكِ لَمْ تَأْبَهي لِي ».

ظَلَّتِ العَجوزُ تَصْرُخُ، لَكِنَّ دُموعَها وَ تَوَسُّلاتِها لَمْ تُؤَثِّرْ في مُحَنْد الَّذي أَضافَ قائِلًا : « هَذا لِتَشْعُري بِالأَلَمِ الَّذي سَبَّبْتِهِ لِأَخي ! ».

ثُمَّ أَخَذَ الكيسَ وَ مَلَأَهُ بِالضَّفادِعِ، وَ بَعْدَ ذَلِكَ قَطَعَ ذَيْلَ الكَلْبِ فَانْطَلَقَ كَالسَّهْمِ يَصْرُخُ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ.





وَ عِنْدَ رُجوعِهِ إلَى البَيْتِ، وَضَعَ مُحَنْد المَرْأَةَ العَجوزَ عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ فَتَحَ الكيسَ وَ حَرَّرَ الضَّفادِعَ الَّتي سُرْعانَ ما اجْتاحَتِ المَنْزِلَ، وَ أَغْلَقَ البابَ بِهُدوءٍ.

تَعالَى صُراخُ نِسَاءِ البَيْتِ فَأَبْهَجَ ذَلِكَ قَلْبَ مُحَنْد الَّذي أَشْفَى غَليلَهُ وَ قالَ : « هَذا جَزاءُ صَنيعِكُنَّ بِأَخي ».

عَرَضَ مُحَنْد عَلَى أَخيهِ الإقامَةَ مَعَهُ فَقَبِلَ بِكُلِّ سُرورٍ، وَ هَكَذا عاشَ الأَخوانِ مَعًا عَلَى وَعْدِ أَلَّا يَفْتَرِقا عَنْ بَعْضِهِمَا أَبَدًا.